منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

الحرب الروسية- الأوكرانية

تفتح شهية الدول الغربية على مصادر الطاقة باليمن

منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

الحرب الروسية- الأوكرانية تفتح شهية الدول الغربية على مصادر الطاقة باليمن

ورقة مقدمة من منتدى مجال

رمضان 1443هـ / ابريل 2022م

https://majalforums.com
info@majalforums.com
ahmed@majalforums.com
00967775775774

مقـــدمة:

بالرغم من بعدها عن اليمن، إلا أنّ الحرب الروسية- الأوكرانية، ألقت بظلالها وتداعياتها المباشرة وغير المباشرة على الأوضاع في اليمن، وكذا مواقف الدول الإقليمية والدولية من الحرب القائمة على البلد، ومسار المفاوضات والتسويات السياسية، وفتح شهية الدول الغربية على مصادر الطاقة في اليمن؛ لتعويض النقص الحاصل جراء حظر استيراد الغاز الروسي.

تصاعدت المخاوف من تأثير الحرب في «أوكرانيا» منذ انطلاقها على الجانب الاقتصادي لدول المنطقة، ومنها اليمن الذي يعاني اقتصاده من صعوبات جراء الحرب التي يشنها التحالف السعودي الإماراتي بدعم أمريكي خصوصًا على ارتفاع أسعار الوقود، وكذا القمح الذي يستورد ما نسبته 38 بالمائة من روسيا وأوكرانيا، وفي المقابل هناك من يرى أن اليمن سيتأثر بهذه الحرب لكن بطريقة غير مباشرة؛ كون التأثير على مستوى العالم.

وبات من المؤكد أن تأثيرات الحرب الأوكرانية على اليمن أمر متفق عليه سواء سلبا في جوانب أو إيجابا في عدة جوانب خاصة في الجانب العسكري ومسار المفاوضات، إلا أن تأثيراتها أكبر على دول «التحالف» خاصة السعودية والإمارات، وأمريكا المنخرطة في العدوان على اليمن.

في حين تعمل السعودية والإمارات، على الاستفادة من تداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية من خلال الضغط على الدول الكبرى لدعمها في حربهما على اليمن وحمايتهما من صواريخ وطائرات اليمن المسيرة، أو الخروج من المستنقع اليمني بماء الوجه، وذلك من خلال استخدام ورقة النفط التي شهدت أسعاره ارتفاعًا كبيرًا وصل إلى 120 دولار للبرميل. وتتعرّض السعودية التي تقود منظّمة «أوبك» وتحالف «أوبك بلاس» مع موسكو، حالياً لضغوط من أمريكا والقوى الغربية لزيادة إنتاجها لتهدئة الأسعار المرتفعة منذ بداية الحرب في أوكرانيا، وهي ورقة تمنح المملكة الضغط على دول كبرى مثل الولايات المتحدة، وكما أنها تدفع بزيادة الخلافات بين الدول المنخرطة في التحالف السعودي الأمريكي.

وستدفع الحرب الأوكرانية الأطراف الإقليمية والدولية الفاعلة في الأزمة اليمنية إلى إعادة التموضع السياسي والعسكري، وكذا تأثراتها على الوضع الإنساني

وعملية السلام، وفقاً لما ستنتهي به الحرب في أوكرانيا، وسيكون اليمن عنصرًا مؤثرًا في الصراع بين روسيا وحلف الناتو، بعد تأييد بعض الأطراف الخليجية، بشكلٍ مباشر أو غير مباشر لروسيا، وسط شعور خليجي بخذلان أمريكا خصوصاً في الحرب على اليمن.

ومع بدء الحرب في أوكرانيا، أطلق برنامج الأغذية العالمي تحذيراً من خطورة الوضع في اليمن، الذي وصفه بأنه أسوأ ما يمكن لأي شخص أن يتخيل، إذ قد تساهم هذه الحرب في مضاعفة هذا الوضع الحرج وتعقيد عملية التخفيف من وطأته.. مرجحًا أن يؤدي تصعيد الصراع في أوكرانيا إلى زيادة أسعار الوقود والغذاء وخاصة الحبوب، كون اليمن يعتمد على استيراده من الخارج.

يتناول « منتدى مجال» في هذه الورقة الضوء على الحرب الروسية – الأوكرانية وأبعادها وتأثيراتها الإقليمية والدولية وخارطة التحالفات في المنطقة، وكذا انعكاساتها السلبية أو الإيجابية على الأوضاع في اليمن، ومسار الحرب على اليمن التي دخلت عامها الثامن، وسعي دول التحالف أو الأطراف اليمنية إلى تسجيل نقاط للتقرب من الرّوس على حساب مجريات الحرب مع أوكرانيا.

الحرب الروسية- الأوكرانية

ينحدر الروس والأوكرانيون بجانب البلاروسيين من أصل عرقي واحد، الا وهو «قومية السلاف الشرقيين»، وهي إحدى فروع الشعوب «السلافية» الذي يقطنون معظم وسط وشرق أوروبا والبلطيق، وهم ذو خلفية ثقافية ولغوية متقاربة.

وقد كانت «أوكرانيا» أهم منطقة تمتلكها الإمبراطورية الروسية، وبعد قيام ثورة البلاشفة عام 1917 تم الإعلان عن قيام جمهورية أوكرانيا بدعم من الإمبراطورية النمساوية المجرية، ما لبث البلاشفة من القضاء على التحركات الاستقلالية وأنشأوا جمهورية بلشفية فيها، ومن ثم كانت أوكرانيا ضمن الرباعي المؤسس للاتحاد السوفيتي، وقد كانت أوكرانيا منطقة مهمة اقتصاديا واستراتيجيا للاتحاد السوفيتي الوليد بوصفها منطقة غنية بالفحم والحديد.

في 24 فبراير الماضي تحوّلت التوترات التي كانت قد نشأت في الفترة الأخيرة بين روسيا وأوكرانيا، إلى حرب مفتوحة، امتدت على طول الحدود بين الدولتين، بعد إعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين انطلاق ما سماها «عملية عسكرية خاصة» في المناطق الشرقية للدولة المجاورة. الإعلان الروسي تناغم مع المخاوف الغربية وخاصة الأمريكية منها والتي قالت أن روسيا تعد لغزو روسي ضد أوكرانيا.

زعيم الكرملين رأى أنه يتعين على روسيا اتخاذ إجراءات حاسمة وسريعة، وأشار إلى أن «موسكو» تخطط لـ«نزع السلاح واستئصال النازية» من أوكرانيا، واعداً أيضاً بوضع حد لثمانية أعوام من الحرب التي كانت تقوم بها قوات «حكومة كييف» ضد الانفصاليين الموالين لروسيا.

أوكرانيا بعد الاتحاد السوفييتي

وبعد تفكك الاتحاد السوفييتي مطلع تسعينيات القرن الماضي، نالت أوكرانيا -التي كانت أحد دول الاتحاد- استقلالها عام 1991، بعد إجراء استفتاء لمواطنيها للاختيار بين البقاء ضمن الاتحاد الروسي (روسيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا) أو الاستقلال كأمة أوكرانية، وصوّت 90% من السكان لصالح الاستقلال.

وفي عام 2004، اندلعت ثورة البرتقال في أوكرانيا، وأطاحت بالرئيس «يانكوفيتش» وهو من حلفاء روسيا لصالح «يوشتشنكو» المدعوم من الغرب. وبدأت مرحلة جديدة من التقارب في العلاقات بين أوكرانيا والاتحاد الأوروبي وحلف الناتو.

لكن الإرادة الشعبية أعادت «يانكوفيتش» إلى رئاسة أوكرانيا، بعد فوزه في انتخابات 2010 والذي بدأ بإعادة العلاقة مع روسيا، ووقف أيّ تعاون مع الغرب يمكن أن تضر بالعلاقات مع موسكو، لكن الغرب واصل دعمه للمعارضة الأوكرانية، الأمر الذي ساهم في إيجاد انقسام واضح داخل أوكرانيا بشأن مستقبل البلاد بين فريقين، الأول: يميل إلى الغرب ويريد الانضمام لحلف «الناتو» وقاعدته الرئيسية في الأقاليم الغربية من البلاد. والثاني: يريد التقارب

مع روسيا والانضمام لها رسمياً وقاعدته في الأقاليم الشرقية التي يتحدث أغلب سكانها اللغة الروسية كلغة أولى[1].

شهدت أوكرانيا الحدث الأخطر مطلع العام 2014 حين قدم الغرب الدعم المطلق لثورة ملونة في أوكرانيا ضد الرئيس «يانكوفيتش» على غرار ما علمته مع العديد من الدول السوفيتية السابقة، والتي استطاعت السيطرة على العاصمة «كييف» وطرد الرئيس الشرعي «يانكوفيتش» واتجه نحو روسيا. بدورها اعتبرت «موسكو» السلطة الجديدة في كييف «تمرداً مسلحاً» واستدعت سفيرها للتشاور، في المقابل وجدت السلطة الجديدة في كييف دعماً متواصلاً من أوروبا الغربية والولايات المتحدة.

وأعلنت الأقاليم الشرقية في أوكرانيا -وغالبية سكانها من الروس- عدم اعترافها بالحكومة المركزية في كييف، ومن تلك الأقاليم «شبه جزيرة القرم» و«دونباس» وغيرهما. واندلعت الحرب في تلك الأقاليم بين النظام الجديد المدعوم من أمريكا من جهة والقوات التابعة للنظام القديم من جهة أخرى. وأعلنت «حكومة إقليم القرم» الانفصال عن أوكرانيا وإعلان جمهورية القرم المستقلة. عقب الإعلان بعث حاكم القرم برسالة رسمية إلى «روسيا» طالباً الانضمام إلى موسكو، ودخلت القوات الروسية إلى الإقليم وأعلنت ضمه رسمياً إليها في 2014، وهو ما استغلته الولايات المتحدة وحلفاؤها في أوروبا؛ لفرض عقوبات على موسكو، لكن ذلك لم يوقف الدعم الروسي للانفصاليين في الأقاليم الشرقية الأخرى، وبعد فترة من التوترات تم التّوصل إلى اتفاقيات مينسك، والتي يتمسك بها بوتين الآن كمخرج للأزمة الحالية[2].

معاداة الغرب الأوروبي والأمريكي لروسيا تأتي بسبب رفضها الدخول في بيت الطاعة الغربي كثقافة وحضارة مُلحقة بالغرب، وإصرارها على تميزها واستقلالها وخصوصيتها، وأن يكون لها روايتها الروسية الخاصة، وقوميتها السلافية المتميزة، وكنيستها الأرثوذكية المنفصلة، وثورتها البلشفية المختلفة، ومشروعها القومي المستقبلي، وأن يكون لديها من اتساع الجغرافيا، وامتداد التاريخ، وتعدد الثروات، وعمق الفلسفة، وعالمية الأدب، وخصوصية الفن، ما يؤهلها للاستمرارية وتطوير حضارة تتحدى رواية الغرب الأوروبي الأمريكي المعتمدة على فكرة تفوّق الغرب عرقياً وحضارياً، وتُبطل نظرية «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» للأمريكي

فرانسيس فوكوياما، والتي توقف مسار التاريخ الإنساني عند حضارة الرجل الأبيض الغربي بنموذجها الأمريكي المادي وفكرها الرأسمالي الليبرالي، والتي يراد لها أن تبتلع كل الحضارات البشرية الأخرى وتسحقها بواسطة العولمة أو الأمركة، بما فيها الحضارات الشبيهة لها، كالحضارة الروسية الأرثوذكسية، أو الحضارات النقيضة، كالحضارة العربية الإسلامية[3].

الأبعاد الجيوسياسية للصراع في أوكرانيا

استغلت أمريكا حالة الضعف والترهل الذي أصاب روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، فقامت في عام 1999 بضم مجموعة من دول «حلف وارسو» السابق، وهي (جمهورية التشيك والمجر وبولندا) إلى حلف الناتو، وقد كانت خطوة استفزازية كبيرة قامت بها أمريكا حين ضمت بولندا إلى حلف الناتو بما تحتويه من رمزية تاريخية بوصفها مركز حلف وارسو الذي أنشأه الاتحاد السوفيتي لمواجهة حلف الناتو، وبعدها بسنة اعتلى فلاديمير بوتن السلطة في موسكو.

وبعدها تشجعت أمريكا وقامت بخطوة تاريخية في عام 2004 عندما ضمت الجمهوريات السوفيتية السابقة (ليتوانيا واستونيا ولاتفيا) إضافة مجموعة إضافية من دول حلف وارسو إلى قوام حلف الناتو، هذه الخطوة دقّت ناقوس الخطر في موسكو من قرب مدافع الناتو من حدودها، وأن أمريكا قادمة لا محالة لمحاولة استغلال مأزق روسيا الجغرافي التاريخي وخنق روسيا تمهيدا للقضاء عليها.

استغل بوتن سنواته الأولى في تحجيم والقضاء على النخبة «الاوليغارشية» المتمثلة برجال الأعمال اليهود التي سيطرت على روسيا في عهد «يلتسن»، ثم بعد أن استقرت له الأمور رفع شعار: استعادة أمجاد الاتحاد السوفيتي ومحاولة بعث الاعتزاز الروسي في وجه الإذلال الأمريكي. وبعد أحداث الثورة البرتقالية التي دعمها الغرب في أوكرانيا عام 2014 ضد الحكومة الموالية لموسكو في كييف، قامت روسيا بخطوة استباقية فسيطرت على «شبه جزيرة القرم» الاستراتيجية بالقوة العسكرية وانتزعتها من أوكرانيا وضمتها إلى روسيا، تعتبر «شبه جزيرة القرم» عنق الزجاجة بالنسبة لروسيا وبوابتها نحو البحار الدافئة؛ لذلك كانت

سيطرة روسيا عليها مبررة نوعا ما حتى لا يتم خنق روسيا وعزلها عن العالم.

إن أحد صور الصراع الحالي في أوكرانيا ما هو إلا لكي تثبت روسيا مكاسبها التي حصلت عليها عام 2014 بضمها لشبة جزيرة القرم، لذلك تعتبر اعتراف العالم بسيادة روسيا عليها أحد شروطها لوقف حربها في أوكرانيا، ومحاولة لكف تمادي دول الناتو على روسيا لمنع تحجيمها.

ماذا تريد روسيا من أوكرانيا ومن الغرب؟

يمكننا اختصار أهم المطالب الروسية من أوكرانيا: هي أن تلغي أي اتفاقيات للتعاون مع حلف الناتو، وكذلك إيقاف أي مظهر من مظاهر استعدادها لأن تصبح عضواً بحلف الناتو في المستقبل. أما مطالب روسيا من الغرب: فهي تطالب بضمانات قانونية مكتوبة تقدمها الولايات المتحدة بأن أوكرانيا لن تنضم أبداً إلى حلف الناتو، إضافة إلى سحب الحلف العسكري الغربي لأسلحته الهجومية من دول شرق أوروبا كبولندا والمجر (دول كانت أعضاء في حلف وارسو سابقاً)، على اعتبار أن وجود تلك الأسلحة يمثل تهديداً لروسيا لا يمكنها قبوله.

وينطلق موقف بوتين من اتفاقية بين الاتحاد السوفيتي وحلف الناتو في العام 1989م إبان المفاوضات بينهما على إعادة توحيد المانيا وتفكيك دول الاتحاد السوفيتي، وفي تلك الاتفاقية تعهد الغرب بعدم ضم أي دولة من دول الاتحاد السوفيتي في شرق أوروبا إلى حلف الناتو، وهو ما لم يحدث بالطبع؛ إذ ضم الحزب دولاً كثيرة من أوروبا الشرقية، والآن يعمل على انضمام أوكرانيا.

أبعاد الصراع الروسي الغربي

لم يمنع انهيار الاتحاد السوفيتي العام 1990 من استمرار العداء الغربي (الأوروبي والأمريكي) ضد روسيا، فضلا عن أن الانهيار للمنظومة الاشتراكية لم يكن يعني انهيار روسيا، وعلى هذا فقد ركزت الاستراتيجية الغربية على إضعاف روسيا والعمل على انهيارها، وهو ما أفضى إلى صعود قوىً داخل روسيا لا

تعتبر أنها معنيّة ببعث الاشتراكية، أو أية أيديولوجية بديلة عن الرأسمالية، بقدر اعتنائها بوقف الانهيار الحاصل في بنية الدولة الروسية على مختلف الصُعُد. هذه الحقبة هي التي شهدت، ليس فقط صعود نجم «فلاديمير بوتين»، كعرّاب لهذه السياسة، بل أيضاً عودة روسيا إلى الساحة الدولية بعد السنوات العجاف تحت حكم «بوريس يلتسين». هذا الصعود حَمَل معه بذور تثبيت الموقع الجيوسياسي لروسيا كقوة إقليمية كبرى، ولكن من دون امتلاك الأدوات كافة لاستعادة النفوذ الكبير الذي كان يحظى به الاتحاد السوفياتي السابق على مستوى العالم. تطلَّب الأمر عقداً آخر ونُذُر مواجهةٍ إقليميةٍ كبرى، في جورجيا، على خلفية الأزمة في إقليمي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا في العام 2008، حتى يبدأ الرجل في بلورة تصوُّر أوضح عن طبيعة الدولة المُراد إعادة بنائها[4].

جدلية القانون والقوة في العلاقات الدولية:

فرضت الحرب الروسية الأوكرانية منذ اندلاعها في 24 نوفمبر 2022م العديد من الأسئلة عن المحدد الأساسي للعلاقات الدولية؟ هل دول العالم فيما يخص علاقاتها مع بعضها البعض محكومة بالقانون أم بالقوة؟ وهل تُدار العلاقات بين الدول استناداً إلى منطق القوة أم إلى قواعد القانون؟.

ولعل أهم ما قدم من إجابات على هذا التساؤل هو ما قدمه المفكر المصري والخبير في العلاقات الدولية الدكتور حسن نافعة الذي يقول: «في العالم هناك مدرستان، وهما: المدرسة الواقعية، يرى أصحابها أن القوة كانت ولا تزال هي المحرك الرئيسي للتفاعلات الدولية، ومن ثم يرون أن القيم وقواعد السلوك السائدة ما هي إلا انعكاس لموازين القوة القائمة في النظام الدولي. ويرى الفيلسوف الإيطالي الشهير ميكيافيللي (1469-1527)، المؤسس الحقيقي لهذه المدرسة، أن الوظيفة الأساسية للحاكم تنحصر في المحافظة على أمن بلاده والعمل على تحقيق مصالحها، ومن ثم، لدى كل حاكم الحق في استخدام الوسائل التي يراها ضرورية لتحقيق هذا الهدف، ولذلك عليه أن يتقن أساليب القوة والخديعة معاً، وألا يقيم أي وزن للقيم الأخلاقية أو لقواعد العدالة في تعاملاته مع الخصوم. أما الفيلسوف البريطاني توماس هوبز (1588-1679) فقد نجح في

التعبير بوضوح تام عن حالة الفوضى التي تتّسِم بها العلاقات بين الدول، حين ميّز بين «حالة المجتمع» و«حالة الطبيعة». فهو يرى أن الأفراد داخل الدول، الذين يخضعون بالتالي لسلطة سياسية عليا تدير شؤونهم وفق عقد اجتماعي مبرم بين الحاكم والمحكوم، يعيشون «حالة المجتمع»، وهي حالة كفيلة بتحقيق السلم والأمن والطمأنينة للجميع. أما الدول، التي لا تخضع لسلطة فوقها، فلا تزال تعيش فيما بينها «حالة الطبيعة»، وهي حالة تتّسِم بالفوضى ويسودها قانون الغاب الذي يتيح للقوي أن يفتك بالضعيف[5].

بالعودة إلى الحرب الأوكرانية الروسية وطرح موقف الطرفين، في مرآة الجدل المحتدم بين القوة والقانون في العلاقات الدولية، فسوف نجد أن موقف الرئيس الأوكراني يستند بوضوح إلى قواعد ثابتة ومتفق عليها في القانون الدولي، وبالتالي يتسِق تماماً مع ميثاق الأمم المتحدة، بينما يستند موقف الرئيس الروسي إلى منطق القوة التي يُعَدّ استخدامها فعلاً، أو حتى مجرد التهديد باستخدامها، خروجاً عن القواعد المقررة في القانون الدولي، وبالتالي خرقاً واضحاً وصريحاً وفاضحاً لميثاق الأمم المتحدة. غير أن هذه النظرة تبدو شكلية تماماً، ومن ثم غير قادرة على الغوص في أعماق العلاقات الدولية والعوامل المحركة لتفاعلاتها. فمن الواضح تماماً أن موقف الرئيس الأوكراني، والذي يُعَدّ امتداداً لسلطة وصلت إلى مواقع الحكم عبر «ثورة ملونة» مدعومة أميركياً، لم يكن في موقفه المطالب بالانضمام إلى حلف الناتو مدفوعاً بالحرص على استقلال القرار الأوكراني، بقدر ما كان متجاوباً مع التحريض الأميركي الداعي إلى محاصرة روسيا ومنعها من التحول إلى قوة دولية منافسة[6].

يتّضِح ممّا تقدم أن القانون الدولي قابل للاستدعاء في الأزمات والمواقف الدولية في حالات مختلفة، لكنه موجود على الورق فقط، في غياب سلطة عليا قادرة على تطبيقه وفرض حمايته. وهذا وضعٌ يغري كل من يملك القوة على استخدامها في كل مرة يتصور فيها أنه يستطيع أن ينجو بفعلته، رغم تحريم اللجوء إليها أو حتى مجرد التهديد بها تحريماً قاطعاً. وحين كانت الولايات المتحدة تهيمن منفردة على العالم، لم يكن بمقدور أحد غيرها استخدام القوة. أما الآن، وبعد أن وصلت الهيمنة الأميركية المنفردة إلى نهايتها، أصبح بمقدور غيرها استخدام القوة أيضاً، ما يوحي بأن النظام الدولي على وشك

الدخول في مرحلة فوضى وعدم استقرار إلى أن يتم العثور على نقطة توازن جديدة[7].

اليمن والحرب الروسية الأوكرانية:

لم تكتف صنعاء بمراقبة الأزمة الأوكرانية الروسية من منطلق الحذر أو الحياد، فمنذ الوهلة الأولى لانطلاق الحرب بإعلان موسكو الاعتراف باستقلال جمهوريتي «دونيتسك» و«لوغانسك»، أبدت القيادة السياسية في صنعاء تفهمًا كبيرًا لذلك القرار وتفهما للموقف الروسي بشكل عام، ربما على قاعدة «عدو عدوك صديقك»، بمعنى أنَّ روسيا عدو تاريخي للولايات المتحدة الأمريكية، التي ترى فيها القيادة الثورية والسياسية في صنعاء العدو الأول للإسلام والمسلمين ولليمن واليمنيين، كما أنها الداعم الأول لحرب التحالف على اليمن الذي دخل عامه الثامن، فمن المصلحة الوقوف مع روسيا وتأييد خطوتها، باعتبار أنها تمثل ضربة قوية للنظام الدولي القائم على الهيمنة الغربية التي ألحقت الضرر باليمن واليمنيين، وكانت الدول الغربية في صدارة الدول الداعمة والمؤيدة للعدوان على اليمن.

على العكس من الموقف الإيجابي للقيادة السياسية اليمنية في صنعاء جاء الموقف الروسي، حين اختارت موسكو التقارب مع الدول الخليجية التي تشن حربها على اليمن منذ ثمان سنوات، ففي الأيام الأولى من الحرب، وقبل يوم واحد على انتقال رئاسة مجلس الأمن الدولي من روسيا إلى الإمارات -طبقاً للترتيب الأبجدي المعمول به تقليدياً- وفي ما بدا «أخذاً وعطاءً» بين كلّ من روسيا والإمارات، أيّدت الأولى قراراً في مجلس الأمن يصف حركة «أنصار الله» في أحد فقراته بأنها «جماعة إرهابية»، مقابل امتناع الثانية عن التصويت ضدّ موسكو على خلفية الأزمة الأوكرانية.

وبخلاف موقفها السابق، أيّدت موسكو القرار الذي قدّمته أبو ظبي، ويحمل الرقم (2624) تحت البند السابع، والذي قضى أيضاً بتجديد العقوبات المفروضة على اليمن في ظلّ استمرار حظر السلاح، وأدرَج الحركة ككيان على قائمة هذه العقوبات، بالإضافة إلى إدانة هجماتها ضدّ السعودية والإمارات، ومطالبتها

بالوقف الفوري للأعمال العدائية.

التناغم الروسي - الإماراتي تُوِّج بعد ساعات من ذلك، باتصال هاتفي بين ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، والرئيس الروسي فلاديمير بوتين. وبحسب بيان صادر عن الكرملين، فإن ابن زايد «أكد أن لروسيا الحق في ضمان أمنها القومي»، وكانت الإمارات قد امتنعت عن التصويت على قرارات في مجلس الأمن تتعلّق بإدانة روسيا بسبب عمليتها العسكرية في أوكرانيا.

ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن دبلوماسي أوروبي قوله: «نحن مستاؤون جدّاً من الإمارات، ومقتنعون بأنها أبرمت صفقة قذرة مع روسيا مرتبطة بالحوثيين وأوكرانيا». هذا فيما يخص الإمارات، أما فيما يخص السعودية فيرى العديد من الخبراء أن الهدف الروسي من تمرير قرار مجلس الأمن متعلق باتفاق «أوبك+» والحاجة الروسية - السعودية المشتركة للحفاظ على الأسعار مرتفعة؛ إذ إن الجانب الروسي يستفيد من ذلك في جزئيّة مواجهة آثار العقوبات المستجدّة، بينما يستثمره الجانب السعودي في محاولة ابتزاز إدارة الرئيس الأمريكي، جو بايدن، لدفعها إلى «تطبيع العلاقات» مع وليّ العهد محمد بن سلمان، إذا كانت تنوي الاستعانة بمقدّرات مملكته في مواجهة «الهلع» الأوروبي من استخدام سلاح الطاقة في إطار الصراع الروسي - الأمريكي في أوكرانيا[9].

المغازلة الروسية الحذرة

في خضم ذلك الصراع اختارت موسكو أن تناور بالملف اليمني، ففي الرابع من مارس كتب المحلل الروسي «ألكسندر نازاروف» مقال بعنوان (العلماء الحوثيون اليمنيون على وشك تحقيق اختراق في تكنولوجيا الصواريخ)، قامت بنشره العديد من وسائل الإعلام الروسية، منها قناة «روسيا اليوم» القسم العربي، قال فيه أن الغرب لم يستخدم حتى الآن «القنبلة النووية الاقتصادية» ضد روسيا، متمثلة في حظر تصديرها للنفط والغاز. مضيفًا أنه: من أجل ذلك، من الضروري إجبار عرب الخليج على تحويل صادراتهم من آسيا إلى أوروبا. بطبيعة الحال، ستستمر حينها أسعار الطاقة في الارتفاع، وستبدأ أزمة حادة في الهند والصين

ودول آسيوية أخرى. وهنا من الممكن بالفعل البدء في التفكير، ليس فقط في دخول الصين إلى الحرب العالمية الثالثة من أجل الوصول إلى النفط والغاز في الخليج، ولكن أيضاً لإمكانية تدمير روسيا لمصادر الطاقة البديلة لها، إذا ما كانت الأمور لا تسير على ما يرام بالنسبة للأخيرة.

وأكد نازاروف، أنه لا يتعيّن على دول الخليج أن تستسلم لوهم أن روسيا يمكن أن تعتبر المشاركة في الحرب الاقتصادية ضدها أي شيء سوى أنها مشاركة في الحرب الحقيقية. كذلك لا أنصح بالتعويل على أن الروس قد نسوا من موّل الإرهابيين في الشيشان والقوقاز، في تسعينيات القرن الماضي. مشيرًا إلى أن الاختراق الهائل والمفاجئ للحوثيين في تطوير تكنولوجيا الصواريخ قد لا يكون المفاجأة الأخيرة. فكما يظهر الوضع في أوكرانيا عندما يتعلق الأمر بالبقاء على قيد الحياة، فإن روسيا لا تتمسك كثيراً بالإجراءات الرسمية والبروتوكول الدبلوماسي[10].

الطاقة اليمنية والتحرك الأمريكي:

منذ الأيام الأولى للحرب الروسية - الأوكرانية سعت الولايات المتحدة لحرمان روسيا من تصدير الطاقة (النفط، والغاز) وخاصة إلى الاتحاد الأوروبي، وهو الأمر الذي رفضه الاتحاد مطالبا الولايات المتحدة لقبول قرارها بحضر استيراد الطاقة الروسية، مطالبا لها بالبديل.

وفي إطار المساعي الأمريكية لإيجاد بدائل الطاقة الروسية، كان التوجه إلى الدول العربية، فيما يخص النفط كان الخيار على السعودية والإمارات، أما فيما يخص الغاز فكان البديل قطر واليمن، ففي الرابع من مارس قام المبعوث الأمريكي الخاص «تيم ليندركينغ» والقائم بأعمال السفير الأمريكي لدى اليمن على رأس وفد أمريكي كبير لزيارة محافظات حضرموت والمهرة وشبوة. فبحسب صحيفة «الأندبندنت» البريطانية، فقد أجبرت السفيرة والمبعوث الأمريكي محافظ محافظة شبوة عوض بن الوزير وطاقم السلطة المحلية على التوجه معهما صوب الميناء والاجتماع بهما هناك، لحاجة هي في نفس راعي البقر الأمريكي المتجهم.

حيث كشف مصدر مقرب لـ «اندبندنت عربية» في المحافظة، أن اجتماع الوفد الأمريكي لم يعقد في عاصمة المحافظة «عتق» كما يعتقد البعض، وإنما في «ميناء بلحاف» على ساحل البحر العربي جنوب اليمن.

وفي هذا الإطار، أجرى السفير الفرنسي لدى اليمن، «جان ماري صفا» مطلع مارس اتصالات مكثّفة مع حكومة المرتزقة، ومحافظي حضرموت وشبوة ومأرب الموالين للتحالف السعودي - الإماراتي، بعدما كان وعد حكومة المرتزقة خلال زيارة قام بها لمدينة عدن منتصف الشهر الماضي، بدعمٍ اقتصادي مستدام.

في الخامس من مارس، كشفت مصادر بحكومة «عبد ربه» -الموالي للتحالف في شبوة وحضرموت- إبرام الولايات المتحدة اتفاقيات جديدة مع محافظي الهلال النفطي لليمن، وأوضحت المصادر بأن المبعوث الأمريكي «تيم ليندركينغ» أبلغ محافظ شبوة «عوض بن الوزير» ومحافظ حضرموت «فرج البحسني» بأن الشركات النفطية الأمريكية ستعاود خلال الأيام المقبلة تشغيل الحقول النفطية وتحديدًا في «عسيلان» و«العقلة» إضافة إلى «المسيلة».. مشيرة إلى أن المبعوث والقائمة بأعمال السفير وعدا بامتيازات عدة للمحافظين، أبرزها دعم بقائهما في السلطة، كما وعدا بتكثيف الجهود لإجراء مسوحات زلزالية في تلك المحافظات لرفع طاقة إنتاجها من النفط والغاز وستكون حصة كبيرة منها للمحافظين.

ووفقاً لـ«المركز الإعلامي لمحافظة شبوة»، فإن «ليندركينغ» ركز في لقائه مع محافظ المحافظة، عوض الوزير العولقي، حول العوائق الأمنية والعسكرية التي قد تتسبّب بإعاقة إنتاج وتصدير الغاز المسال من «قطاع 18» النفطي إلى منشأة بلحاف.

من المعروف أن الولايات المتحدة تتعامل مع «قطاع 18» النفطي بمأرب باعتباره ملكاً لها، وأن شركة «هنت» الأمريكية ترفض -على رغم انتهاء عقدها مطلع 2005- تسليم القطاع للجانب اليمني. وأن «الجانب الأمريكي يعلم أن الاحتياطات من الغاز في هذا القطاع كبيرة، وهو يسعى إلى سحب كمّيات منها؛ لسدّ العجز الناتج من وقف استيراد الغاز الروسي إلى الأسواق الأوروبية، وتكشف التحركات الأمريكية عن مساعي واشنطن للبحث عن مصادر بديلة للطاقة في ظل الصراع مع روسيا وامتناع دول الخليج عن رفع الإنتاج؛ في محاولة لابتزاز واشنطن التي

تواجه ضغوط عالمية نتيجة الطلب المتزايد على النفط والغاز وسط ارتفاع غير مسبوق لأسعاره.

ووفقاً لما نشرت العديد من المواقع الإعلامية، فإن «شركة توتال الفرنسية وشركاءها الأمريكيين أبلغوا حكومة هادي التزامهم بالأسعار المتّفق عليها في اتفاق بيع الغاز»، ما يعني احتساب سعر الطنّ من الغاز اليمني عند 230 دولاراً، بينما يبلغ حقيقة 2400 دولار وفقاً لأسعار السوق، الأمر الذي يُعدّ إجحافاً كبيراً بحقّ اليمن، تتحمّل مسؤوليته حكومة هادي جرّاء موافقتها على استئناف إنتاج الغاز من دون تعديل أسعار البيع.

خلال الفترة الماضية أبدت حكومة المرتزقة رغبتها في استئناف إنتاج الغاز وتصديره، مدّعية أن ذلك سيحسّن مصادر دخلها من العملات الأجنبية، ووجهت قيادة شركة «صافر» النفطية بضرورة تقديم التسهيلات لكافة الشركات الأجنبية.

لم يتأخر رد حكومة الإنقاذ الوطني في صنعاء على التحرك الأمريكي للسيطرة على الغاز اليمني، ففي السادس من مارس صرّح وزير التعليم العالي «حسين حازب» أن غاز مأرب وشبوة وحضرموت ينبغي أن يذهب لصالح أبناء الوطن أو يبقى في باطن الأرض ويحرق في مكانه دون أن يذهب لصالح الأمريكيين والأوروبيين.

في السابع من مارس نقلت صحيفة «الأخبار اللبنانية»، عمّا قالت أنها مصادر مطّلعة في صنعاء، أن حركة «أنصار الله» ستتّخذ قرارات صارمة بهذا الشأن، في حال إصرار الأمريكيين والفرنسيين على العودة إلى نهب الغاز اليمني.

وخلال تواصل «منتدى مجال» مع العديد من المصادر الخاصة في حكومة صنعاء، أكدت هذه المصادر أن كل ما يقومون به هو في إطار تحركات المحتل الباطلة وغير القانونية والتي يجب على كل القوى الوطنية مواجهتها بكل سبل المقاومة والمنع، مضيفة: «أنه لن يكون هناك أي تسوية نفطية على حساب الشعب اليمني، خاصة أن الشركات الأجنبية مثل توتال الفرنسية وهنت الأميركية تنهب النفط اليمني بشكل ممنهج وبرعاية دولية وبتعاون خليجي-أوروبي-أمريكي.

اليمن شوكة الميزان في حرب النفط:

تزامناً مع الحرب الروسية - الأوكرانية وما أنتجته من تأثيرات عالية على أسعار الطاقة التي وصل سعر برميل النفط إلى 120 دولار، وخاصة بعد إعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن، في 8 مارس، فرض الولايات المتحدة حظرًا على واردات النفط والغاز الروسية. وقال بايدن في كلمة متلفزة إن «قرارنا حظر جميع واردات النفط والغاز الروسية جاء بالتشاور مع حلفائنا»، لافتا إلى أن هذا القرار «لن يكون بلا ثمن في الولايات المتحدة.. وسنبذل ما يلزم لتخفيف تأثر المواطنين الأمريكيين بالعقوبات على روسيا».

التصعيد الأمريكي أوصل الطرفين إلى ما يمكننا أن نقول أنّه حرب الطاقة بين الولايات المتحدة وروسيا، فضلا عن المساعي الأمريكية الحثيثة في البحث عن بدائل أساسية للطاقة الروسية، وتوجهها تحديدًا نحو أنظمة الخليج الخاضعة للتأثير الأمريكي.

في خضم هذا الصراع الغربي الروسي على الطاقة، شنّت القوات اليمنية ضربات استهدفت العديد من المنشآت النفطية داخل العمق السعودي، ففي 11 مارس استهدفت قوات الجيش اليمني واللجان الشعبية مواقع نفطية تابعة لشركة أرامكوا السعودية في «الرياض» و«أبها» و«جيزان» بعشر طائرات مسيرة كما أعلن ناطق الجيش اليمني تحت مسمى عملية «كسر الحصار الأولى»، أتبعت ذلك بعملية «كسر الحصار الثاني» في 20 مارس وفيها تم استهداف عدد من الأهداف السعودية الحيوية والهامة في مناطق أبها وخميس مشيط وجيزان وسامطة وظهران الجنوب، بدفعة من الصواريخ الباليستية والمجنحة والطائراتِ المسيرة.

تحت تأثير الضربات اليمنية، نشرت وكالة الأنباء السعودية الرسمية «واس» يوم الإثنين 21 مارس الجاري تصريحاً لمسؤول في وزارة الخارجية، قال فيه: إنَّ «المملكة العربية السعودية تعلن أنَّها لن تتحمَّل مسؤوليّة أيّ نقص في إمدادات البترول للأسواق العالمية، في ظلّ الهجمات التي تتعرَّض لها منشآتها النفطية من الميليشيات الحوثية الإرهابية المدعومة من إيران» .. مطالبا الدول الحريصة على الحصول على الطاقة بحماية منشآت النفط.

واختتمت الوكالة السعودية بالقول: «بيّن المصدر أهمية اضطلاع المجتمع الدولي بمسؤوليته في المحافظة على إمدادات الطاقة، ووقوفه بحزم ضد الميليشيات الحوثية الإرهابية المدعومة من إيران، وردعها عن هجماتها التخريبية التي تشكل تهديداً مباشراً لأمن الإمدادات البترولية في هذه الظروف البالغة الحساسية التي تشهدها أسواق الطاقة العالمية»[11].

مطالبةُ المصدر السعودي للمجتمع الدولي للقيام بمسؤوليته في المحافظة على إمدادات الطاقة ووقوفه بحزم ضد الجيش اليمني، يتّفق مع الخبر الذي سربته «وول ستريت جورنال» عن طلبات سعودية وإماراتية لواشنطن ولندن بالتصدي لحركة «أنصار الله» بشكل أكبر من قبل. وهنا، يتبيَّن العجز الذي يحكيه السعودي عن نفسه، والذي يظهره يوماً بعد يوم بشكل لا لبس فيه، ما ينبئ بفيضان في الغضب والهزيمة، لكن من دون شجاعة الاعتراف الصريح بالفشل أو شجاعة الانسحاب[12].

أما فيما يخص الرسائل اليمنية من العمليتين (الأولى والثانية) فهي وبحسب ما أفادت مصادر خاصة في القيادة اليمنية للمنتدى: إنما هي عملية تحذيرية بأن الاستمرار في افتعال الأزمة التي تؤثر بشكل مباشر على المنشآت الحيوية خاصة تلك المتعلقة بالقطاع الصحي والخدمي التي تمس حياة المدنيين والأطفال، لن يبقى محصوراً في اليمن، بل إن ذلك سيرتد مباشرة على الرياض، وبالمكان الذي تخشى استهدافه وهو منشآتها النفطية والحيوية، ولن تبقى بمنأى عن الضربات الموجعة.

بعد أيام على الاستنجاد السعودي بالمجتمع الدولي، شنّت القوات اليمنية عملية «كسر الحصار الثالثة» في 25 من مارس، وفيها تمّ استهداف منشآت أرامكو في جدة ومنشآت حيوية في العاصمة السعودية الرياض، ومصفاة رأس التنورة ومصفاة رابغ النفطية، بأعدادٍ كبيرةٍ من الطائرات المسيّرة.

لا تقف أهمية العملية في بعدها العسكري فقط، بل في التوقيت، فقد جاءت في وقت حساس للغاية، فقد جاءت بعد أسابيع قليلة من طلب الدول الأوروبية وواشنطن من السعودية والإمارات تعويض النفط الروسي بعد الحظر الأمريكي والدول الأوروبية، أو التخفيف من الأزمة، وهو ما جعل من استهداف القوات

اليمنية للنفط الخليجي، خروجًا للحرب على اليمن من محيطها الإقليمي إلى المستوى الدولي، ودخولها دخولا مباشرا على خط الأزمة، علما أن القوات اليمنية وبحسب بيانها الرسمي تقول: أن الهدف من العملية هو إيقاف العدوان والحصار المستمر منذ سبعة أعوام. وكأن الحكومة اليمنية تقول لواشنطن التي تقول أنها «المدير الحقيقي للعدوان على اليمن» إذا لم تنه الحصار والعدوان، سنشعل منشآت النفط السعودية والإماراتية، لنزيد الأزمة إلى شدتها[13].

يرى العديد من الخبراء أن العمليات اليمنية ضد النفط الخليجي تساهم بشكل كبير في زعزعة استِقرار أسواق النفط، وإفشال الجُهود الأمريكيّة المَبذولة حاليًّا لخفض الأسعار بمُمارسة ضُغوط على حُلفائها في الخليج، وخاصَّةً السعوديّة والإمارات لزيادة إنتاجهما.

أما فيما يخص رسائل العملية إلى الطرف الروسي، فيقول «عبد الباري عطوان» أن من قال أنها حركة «أنصار الله» الحوثيّة ربمّا تُقدّم بهذا الهُجوم أوراق اعتِمادها للانضِمام إلى المعسكر الروسي عبر هذه المُسيّرات التّسع، وفي الوقت المُناسب، وإن كان ما زال من المُبكر القول إنها ستقبل فورًا، بالنّظر إلى موقف موسكو «شبه المُحايد» من الحرب اليمنيّة حتى الآن مُراعاةً للجانب الإماراتي السعودي، وحِرصًا على التّنسيق معه في المِلف النفطي[14].

لكن من الملاحظ أن الجانب الروسي لا يزال يعاني من سوء قراءته للمنطقة سواء من ناحية الحلفاء أو من ناحية الأعداء أو الخصوم، وأنه لا يزال يعاني من سوء التقدير الذي يحد من سوء استثمار روسيا لكل متغيرات المنطقة، فمثلا نرى أن الروسي يمنع حلفاءه في المنطقة (إيران وسوريا) من الحصول على منظومة (إس 400) استجابة للضغوط الأمريكية، وفي ذات الوقت يقدمها لتركيا التي كانت طوال عشرات السنين رأس حربة الناتو في مواجهة روسيا، هذا فضلا عن أن الموقف التركي تجاه الغرب وروسيا لا زال في موقع المناورة، ومن الصعب على تركيا أن تكون حليف لروسيا وهي عضو في حلف الناتو وفيها العديد من القواعد العسكرية للناتو ولأمريكا.

وسوء التقدير الروسي نرى تجلياته في اليمن، فخلال سبع سنوات من الحرب على اليمن كان الموقف الروسي يتعاطى بحذر شديد تجاه اليمن، لكنه ومنذ

بداية الحرب الأوكرانية فضل الانخراط مع دول التحالف (السعودية والإمارات)؛ في محاولة منه لجذبها إلى صفه فيما يخص الحرب مع أوكرانيا، رغم أنه من شبه المستحيل أن تستطيع الخروج من العباءة الأمريكية رغم قدرتها حاليا على المناورة نوعا ما، لكن من شبه المؤكد أنه لا يمكنها أن تضع نفسها في موقف الرفض لأي قرارات أمريكية بحكم أن الولايات المتحدة هي الحامي الحقيقي لكل أنظمة الدول الخليجية والراعي الحصري لها.

لكن ورغم ذلك، تجلى سوء القراءة الروسية لمتغيرات المنطقة بعدم استمرارها على الحياد حين فضلت تغيير تموضعها، ففي الـ 26 من مارس وبعد تنفيذ القوات اليمنية عملية «إعصار اليمن الرابعة» وفي معرض الموقف الروسي منها، صرّح رئيس لجنة مجلس الدوما للشؤون الدولية «ليونيد سلوتسكي» قائلا : «علمت بقلق بالغ الهجوم الذي شنته حركة (أنصار الله) الحوثية على البنية التحتية لمدينة جدة، أجمل مدن السعودية وأكثرها تطورا وسرعة».

مضيفا: أن «الحوثيين أظهروا طبيعتهم الإرهابية، وكذلك عدم وجود أجندة بناءة لديهم، وتركيزهم فقط على زعزعة استقرار المنطقة». وأكد رئيس لجنة مجلس الدوما، أن «هذه الأحداث تؤكد صحة دعم روسيا لقرار مجلس الأمن الدولي الاعتراف بحركة أنصار الله إرهابية»[15].

أما فيما يخص تأثيرات الضربات اليمنية على الداخل الأمريكي، فيمكننا القول أن توقيت الضربات تزامن مع رغبة الإدارة الأميركية في خفض أسعار النفط؛ لأن ارتفاعها سيؤثر سلباً على حظوظ الرئيس بايدن في الانتخابات النصفية للكونغرس مقابل ازدياد حظوظ الجمهوريين.

أما فيما يخص أهم الرسائل للقيادة اليمنية من خلال هذه العمليات، فتقول مصادر خاصة «لمنتدى مجال» بأن أولها هو رفع الحصار كما هو اسمها، أما على المستوى الخارجي فتؤكد تلك المصادر بأنه على الأطراف الدولية أن تنظر إلى اليمن كلاعب فاعل يؤثر على أسعار النفط خاصة إذا ما ارتأت السعودية ومن معها استمرار العدوان والحصار ما يجعل من تصعيد الضربات أمراً مطروحاً بشكل أساسي أمام القيادة اليمنية.

دول الخليج والموقف من الحرب الروسية- الأوكرانية:

شهدت السنوات الماضية انعطافًا لافتا في السياسة الخارجية لدول الخليج فيما يخص علاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية تحديدًا. إذ نسجت هذه البلدان علاقات سياسية واقتصادية وثقافية ورياضية مع أبرز منافسي وخصوم واشنطن: الصين وروسيا. وقد تمكّنت الأخيرة من زيادة التبادل التجاري بينها وبين دول مجلس التعاون الخليجي إلى خمسة مليارات دولار أمريكي في عام 2021، غالبيتها مع السعودية والإمارات، بعد أن كانت نسبة التبادل التجاري بينهم لا تتجاوز ثلاثة مليارات دولار عام 2016.

الآن وبعد اشتعال الحرب الروسية - الأوكرانية، وجد العالم نفسه في دوامة لا يعرف لها نهاية، ومنذ بداية الحرب أظهرت دول مجلس التعاون الخليجي أنها لا تريد الانجرار إلى جدار العزلة الذي يبنيه الغرب في وجه موسكو، أقله حتى نهاية الشهر الأول من الحرب، لكن للمستقبل حسابات أخرى تتوقف على المدى الزمني المتوقّع للحرب ولنتائجها، فللخسارة حسابات وللربح حسابات أيضا.

في 25 و27 فبراير الماضي، امتنعت الإمارات مرتين، عن التصويت لصالح قرار أممي تقدمت به أمريكا يطالب روسيا بوقف عملياتها العسكرية في أوكرانيا التي دخلت يومها السابع، لكن أبو ظبي غيّرت موقفها في 30 فبراير وصوتت لصالح قرار تبنته الجمعية للأمم المتحدة، يطالب روسيا بوقف حربها في أوكرانيا.

عقب ذلك صرّح دبلوماسي أوروبي بأن الغربيين «أصيبوا بخيبة أمل كبيرة إزاء امتناع الإمارات عن التصويت، على قرارات في مجلس الأمن تتعلق بالحرب في أوكرانيا». وقال الدبلوماسي إن الإمارات كانت تهدف من هذا الموقف إلى جعل روسيا تكف عن استخدام حق النقض ضد قرار يمدد حظر الأسلحة المفروض على الحوثيين في اليمن. وأضاف الدبلوماسي الأوروبي «نحن مستاؤون جدا من الإمارات، ومقتنعون أنهم أبرموا صفقة قذرة مع روسيا» مرتبطة (بالحوثيين) وأوكرانيا.

وفي ذات السياق، نقل موقع «إكسيوس» عن مصادر إسرائيلية وإماراتية، قولها: إن الإمارات محبطة من ردّ واشنطن على هجوم الحوثيين على أبو ظبي قبل 6 أسابيع. وأوضحت هذه المصادر أن هذا الإحباط هو ما دفع أبو ظبي إلى

الامتناع عن التصويت لصالح القرار الذي تقف خلفه واشنطن، ويطالب بوقف الحرب الروسية في أوكرانيا. وكان مجلس الأمن الدولي قد أصدر في 28 فبراير- بدعم من دولة الإمارات- قرارًا يوسّع الحظر على إيصال الأسلحة إلى اليمن ليشمل جميع من قال أنهم (المسلحين الحوثيين) بعدما كان مقتصرا على أفراد وشركات محدّدة. كما اعتبر القرار -الذي صوّتت لمصلحته 11 دولة، في حين امتنعت 4 عن التصويت هي: النرويج والمكسيك والبرازيل وأيرلندا- أنّ الحوثيين «جماعة إرهابية»، وذلك للمرة الأولى. وفسّر دبلوماسيون تصويت روسيا -المقرّبة من إيران التي تدعم الحوثيين- لمصلحة القرار بأنه ثمرة «اتفاق» بين موسكو وأبو ظبي، هدفت موسكو عبره إلى ضمان امتناع الإمارات عن التصويت في مجلس الأمن ضد الحرب الروسية على أوكرانيا[16].

عقب ذلك كشف موقع «إكسيوس» الأمريكي عن توجيه وزارة الخارجية الأمريكية مذكرات لسفيرها في الإمارات، تهدد فيه أبو ظبي من تداعيات الحياد الذي وصفته بأنه يضعها على قائمة الاصطفاف مع روسيا. وتطالب المذكرة السفراء الأمريكيين بإقناع المسؤولين هناك بضرورة تغيير مواقفهم تجاه الأزمة واغتنام الفرصة لدعم أوكرانيا.

عقب ذلك وتحديداً في 3 مارس الماضي اعترف السفير الإماراتي في واشنطن «يوسف العتيبة» بفشل كل المنظومات الدفاعية الأمريكية في حماية الإمارات، كما اعترف بوصول العلاقة بين الطرفين إلى مفترق طرق .. مشيرا إلى أن وضعها الحالي «محل اختبار». مضيفاً «إن المشكلة تكمن في عدم نجاح أية منظومة في التصدي للطائرات المسيرة؛ في إشارة واضحة إلى أن بلاده التي تنشر عشرات المنظومات الدفاعية الأمريكية، بينها: (ثاد وباتريوت) لم تعد تعول على الحماية الأمريكية. كما حذرّ العتيبة من تداعيات ما وصفها بالاستقطاب الأمريكي. ومن شأن هذه التحولات تعميق الخلافات بين واشنطن وأبو ظبي والتي بدأت مع تولي بايدن مقاليد السلطة في البلد العام الماضي ووقفه صفقة بيع طائرات إف 35 للإمارات.

في 18 مارس قام الرئيس السوري «بشار الأسد» بزيارة إلى الإمارات العربية المتحدة وهو ما أثار حفيظة الولايات المتحدة، ووفقا لصحيفة «الصانداي تليغراف» التي نشرت تقريرا لفريق المراسلين الدوليين، قالت فيه: إن الولايات

المتحدة انتقدت استقبال الإمارات الرئيس السوري «بشار الأسد»، واعتبرت أنه «شرعنة» للأسد، الذي يقوم بأول زيارة له لدولة عربية منذ بداية الحرب المدمرة التي تشهدها بلاده.

وينقل التقرير عن ند برايس، المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، قوله: «إن الزيارة المفاجئة التي أجراها الأسد للإمارات أحبطت بشدة الولايات المتحدة»، ونقل التقرير عن برايس قوله: «نحن محبطون بشدة، وقلقون لهذه المحاولة المفضوحة، لشرعنة وضع «بشار الأسد» الذي يعد مسؤولا وعرضة للمساءلة عن مقتل ومعاناة عدد كبير من السوريين»[17].

السعودية والحرب الروسية- الأوكرانية؟

منذ وصول الرئيس الأمريكي «جو بايدن» إلى رئاسة الولايات المتحدة العام الماضي وهو يرفض التحدث إلى «ابن سلمان» مباشرة، ويقول إن نظيره هو الملك «سلمان بن عبدالعزيز»، البالغ من العمر 86 عاما، رغم أن الأمير الشاب هو من يدير في واقع الأمر شؤون المملكة، وكانت تربطه علاقة وثيقة مع الرئيس السابق «دونالد ترامب». واهتزت العلاقات المتينة بين الرياض وواشنطن منذ أن أعلن بايدن تقريرا مخابراتياً أمريكيا يرجح تورط «ابن سلمان» في مقتل الصحفي «جمال خاشقجي» عام 2018، وتصريحاته بأنه سيعمل على وضع حد لنهاية الدعم الأمريكي للحرب التي تقودها السعودية على اليمن.

ساهمت الحرب الروسية - الأكرانية في زيادة حدة الخلاف بين الجانبين، ففي الأيام الأولى من الحرب طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من «دول أوبك» زيادة ضخ المزيد من النفط بعد ارتفاع أسعارها عالميا؛ الأمر الذي رفضته معظم «دول أوبك» التي من أهمها السعودية ودول الخليج، قبل أن تتراجع عن ذلك بعد تلويح أمريكي – بريطاني بتقويض منظمة «أوبك»، ففي 3 مارس قررت منظمة «أوبك»، التي تقودها السعودية، زيادة إنتاج النفط بمعدل 400 ألف برميل يوميًا بعد أيام من المناورة في وجه الولايات المتحدة والغرب، ما يشي إلى إذعان سعودي للطلب الغربي.

وحدّدت المنظمة في بيان لها إبريل الجاري بداية زيادة الإنتاج.. ومع أن الزيادة المطروحة حاليًا قد لا تخفف لهيب أسعار الوقود التي تقترب من حاجز أل120 دولار للبرميل، إلا أنها تعكس مخاوف السعودية من ردّة فعل أمريكية – غربية، لكن قرارها الجديد قد يثير غضب الروس.

في 8 مارس نشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» تقريرًا قالت فيه: أن ولي العهد السعودي «محمد بن سلمان» رفض تلقي مكالمة هاتفية من الرئيس بايدن، في اليوم الثاني 9 مارس نفت السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض «جين بساكي» ما نشرته الصحيفة الأمريكية، وقالت بساكي خلال مؤتمر صحفي بالبيت الأبيض: «هذا التقرير غير دقيق، لذا اسمحوا لي أن أبدأ من هناك». لقد تحدث الرئيس مع الملك السعودي قبل بضعة أسابيع فقط، وبغض النظر عن صحة الخبر من عدمه فلا يخفى على أي متابع أن موضوع الخبر ليس بعيداً عن الحالة العامة بين الرئيس الأمريكي والقيادة السعودية، فإنَّ «محمد بن سلمان» لديه مطالب أبلغها للأميركيين، تتمثّل بزيادة مساعدته في الحرب على اليمن للخروج منها منتصراً، ومساعدة الرياض في تدشين مشروع نووي سلمي يستطيع من خلاله منافسة المشروع الإيراني.

كما تتحدث بعض الوسائل الإعلامية عن مطالب سعودية برفع القيود القانونية وإسقاط الدعاوى القضائية المرفوعة ضد «ابن سلمان» على خلفية مقتل الصحافي السعودي «جمال خاشقجي» بطريقة مروعة في سفارة السعودية في تركيا في أكتوبر 2018.

وفي 11 من مارس كشفت شبكة «CNN»، نقلا عن مصادر، كواليس التحركات الأمريكية لتهدئة التوتر مع السعودية والإمارات، في ظل ارتفاع أسعار النفط عالميا والأحداث الأخيرة. وفي تقريرها، قالت «CNN» الحقيقة هي أن الجزء الأكبر من الطاقة الفائضة للنفط التي يتطلع إليها مسؤولو الطاقة الأمريكيون يأتي من الشرق الأوسط، وعلى وجه الخصوص، يرى المسؤولون والمشاركون في السوق أن أسرع طريقة للحصول على أكبر قدر من النفط في السوق، هي من خلال زيادة إنتاج المملكة العربية السعودية، ولكي يحدث ذلك، يدرك المسؤولون الأمريكيون أنه يتعين عليهم معالجة العلاقة المتوترة بشدة بين الرئيس «جو بايدن» وولي العهد السعودي الأمير «محمد بن سلمان»، إذ قال مسؤول أمريكي

مطلع على الأمر للشبكة: «من الصعب الوصول إلى مكان أفضل دون التعامل مع محمد بن سلمان». «لا توجد وسيلة أخرى للقيام بذلك»[18].

وفي ذات السياق نشر الإعلام الصهيوني معلومات عن مصادر سعودية رفيعة المستوى توضح «امتعاض خليجي من إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن»، وأشارت إلى أنّ «الحل هو انتظار انتهاء ولاية بايدن». وأجاب معلق الشؤون العربية في قناة «كان» الصهيونية روعي كايس، عند السؤال عن «معلومات خطيرة صرحت بها مصادر في المملكة العربية السعودية ضد رئيس الولايات المتحدة»، أنّ هناك «أزمة متواصلة بين إدارة بايدن وبين السعودية، وهذه الأزمة تعاظمت على خلفية العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا».

وأضاف المعلق الإسرائيلي أنّ «الجانب الأمريكي يتوقع أن يقوم السعوديين بالرغم من الخلاف بين الجانبين بالاستجابة إلى طلب زيادة إنتاج النفط؛ من أجل كبح ارتفاع الأسعار في سوق الطاقة، لكن السعوديين لا يرغبون بذلك». وتابع: «مصادر كبيرة في العائلة الملكية السعودية تحدثت معنا، وهاجمت بشدة إدارة بايدن، وقالت لنا عملياً لا يبدو أن هناك حلّ لأزمة الثقة بين الجانبين، وأضافوا أنّ الحل الوحيد هو الانتظار إلى أن تنتهي ولاية بايدن، وليس أقل أو أكثر من ذلك» وأردف شارحاً أنّه «بخصوص الطلب الأمريكي من السعودية بزيادة إنتاج النفط، قالت لنا هذه المصادر في الرياض كيف يمكن لإدارة بايدن أن تخرج ضدنا في اليمن، وتزيل حرس الثورة عن لائحة الإرهاب، والتوقف عن بيعنا السلاح، وبالتالي أن يتوقعوا منا الامتثال لكل طلب، الأمور لا تسير على هذا النحو» كما أنَّ لولي العهد الإماراتي مطالب تتعلَّق بتأمين بلاده من الضربات الصاروخية التي يقوم بها اليمنيون بين فترات متقاربة، وخصوصاً في الآونة الأخيرة، حين دخلت أبو ظبي بشكل واضح وكثيف في الضغط على جبهة مأرب. إضافةً إلى كلّ ذلك، هناك تخوّفات مشتركة من إحياء الاتفاق النووي الإيراني. لذلك، يطالب القائدان الخليجيان الحليف الأمريكي بما أسمياه ضمانات أمنية تضمن أمنهما في حال رجوع طهران إلى المسرح الدولي من دون حظر أو عقوبات[19].

هذه الحالة الخليجية في لحظة فارقة كلحظة الحرب الدائرة بين روسيا والناتو على الأراضي الأوكرانية، تشير بأنَّ لحاقاً خليجياً يُراد له أن يقطف المكاسب،

وإن كانت القدرة على الاستطالة لا تكفي بالوصول للثمرة، فما يفعله محمد بن سلمان ومحمد بن زايد هو رمي النّرد على رقعة المجهول، لعلَّ نردهما يختطف مرادهما، وهذا أحد التفاسير. وثمة تفسير آخر يذهب إلى أنَّ ثمة «غنجاً» في السياسة، كما يوجد «غزل» أيضاً. هذا النوع من الغنج مفاده أن التمنّع الذي نبديه لك يا سيّد البيت الأبيض، إنما يأتي حباً بك، وإيماناً برجولة الكوبوي الذي يمتطي فرس السياسة الدولية ويسرجه بآلته الاقتصادية الضاربة. أيها الكوبوي العتيد، إنما نمتنع عن الرد؛ لأننا نريد أن نحادثك في أقرب وقت، لكن مع قليل من الاهتمام بنا، والرعاية لنا، والحب والنظر إلينا. نوع كهذا من الغنج السياسي هو تأكيد على المؤكد: «إننا في بيت طاعتك، وتحت قيموميتك، ورهن إشارتك. وإذا بدر منا قليل من الممانعة، فلا تصدق أنَّها ممانعة تطول في زمنها أو تستطيل في مدّ عنقها إلى غضبك وسخطك وجليل عذاب عقوبتك وحصارك[20].

التوجه السعودي نحو الصين:

في 14 مارس نقلت صحيفة «وول ستريت جورنال» -عن أشخاص مطلعين- أن السعودية وجهت دعوة للرئيس الصيني «شي جين بينغ» لزيارة الرياض، في مسعى لتعزيز العلاقات بين البلدين، وفي ظل التوتر الحالي مع واشنطن. وأضاف تقرير «وول ستريت جورنال» أن هذه الزيارة قد تأتي بعد نهاية شهر رمضان. وذكرت الصحيفة أن السعودية تنوي تنظيم استقبال حار للرئيس الصيني على غرار استقبالها الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب عام 2017 عندما زار المملكة في أول رحلة خارجية له بصفته رئيسا[21].

قطر والموقف من الحرب الروسية- الأوكرانية

في يناير من العام الجاري، وخلال زيارة أمير قطر الشيخ «تميم بن حمد آل ثاني» إلى البيت الأبيض، أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن أن قطر هي حليف رئيسي واستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية من خارج حلف شمال الأطلسي

(الناتو). القرار الأمريكي جاء بعد الدور الذي لعبته الدوحة في إدارة الملف الأفغاني والعلاقة مع حركة طالبان منذ عام 2013، وكذلك دورها في عمليات الإجلاء الكبيرة في كابل عقب الانسحاب الأمريكي من أفغانستان وسيطرة حركة طالبان على الحكم هناك.

على الرغم من أهمية الدور القطري فيما يخص أفغانستان، لكن العديد من الخبراء يرون أن الإعلان الأمريكي تجاه غايته أكبر من أن ينحصر في أفغانستان، مؤكدين أن الهدف الأمريكي من ذلك يأتي في إطار المشروع الكبير الموجّه ضد خصمها التاريخي روسيا القيصرية بقيادة بوتن، إذ تسعى الولايات المتحدة إلى أن تكون «قطر» التي تعد من أوائل الدول الغازية في العالم هي المصّدر الأول للغاز إلى أوروبا، وأن يكون الغاز القطري هو البديل المناسب للغاز الروسي، وبهذا تضمن الولايات المتحدة تحقيق هدفين، الأول: هو تحرير أوروبا من الهيمنة الروسية فيما يخص الطاقة وخاصة الغاز. أما الثاني: فهو زيادة الضغط على روسيا وتقليص نفوذها على الاتحاد الأوروبي وحرمانها من واحدة من أهم الأوراق التي تستخدمها روسيا في السلم والحرب مع الولايات المتحدة ومع أوروبا.

غير أن قطر، وعلى الرغم من مواقفها السياسية التي اتسمت بكثير من البرجماتية السياسية فيما يخص الحرب الروسية -الأوكرانية إلا أن دول دولة قطر العميقة (الطاقة + قناة الجزيرة الفضائية) تعكس الانحياز الشامل للموقف الغربي المعادي لروسيا بشكل مطلق والمتبني لكل الأخبار الأوكرانية والغربية ضد روسيا، هذا فضلا عن نوعية التغطية التي لم تتسم إلا بالقليل والقليل جدا فيما يخص الحيادية والموضوعية.

التخلي الأمريكي:

يرى العديد من الخبراء ومن دارسي تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، أن فكرة التخّلي الأمريكي ركيزة أساسية في السياسة الخارجية للولايات الأمريكية المتحدة للتعامل مع حلفائها أثناء الأزمات بعد استكمالها لتطبيق سياستين

أساسيتين: الدفع نحو الأزمة، والإغراق بالوعود. واليوم، تطبّق هذه السياسة مع أوكرانيا ورئيسها الصديق لأمريكا «فلاديمير زيلينسكي»، حيث دفعته لاستفزاز روسيا وإشعال النزاع، وفي الوقت عينه، أغرق بايدن صديقه بالوعود الكاذبة بالوقوف إلى جانبه، وتقديم مساعدات دولية، وفرض عقوبات قاسية على روسيا، وقيام بـ«ردّ فعل سريع وقاس» على روسيا إذا أقدمت على أي عملية عسكرية.

بات مصير الوضع في أوكرانيا واضحًا مع التخاذل الأمريكي مع حليفهم، ولكن، ماذا عن مصير الدول الخليجية التي تدفع مليارات الدولارات لشراء الأسلحة الأمريكية؟ هل لا زالت تثق بالوعود الأمريكية بعد الخذلان الذي تعرضت له أفغانستان وأوكرانيا؟؟ هل ستفهم الدول العربية وخاصة الخليجية الدرس الأمريكي في أكرانيا؟؟ هنا يجزم العقلاء بأنه يجب على الدول العربية إعادة النظر بحليفهما الأمريكي – الإسرائيلي. ومن الجيد استذكار عبارة الرئيس المصري السابق الصديق لأمريكا «حسني مبارك» عام 2005 حينما قال: «المتغطي بأمريكا عريان»[22].

تداعيات الحرب الروسية - الأوكرانية:

من الصعب على أي متابع أو مختص رصد كل تداعيات وتأثيرات الحرب بين روسيا وأوكرانيا، لا سيما أن الوقت ما زال مبكراً لحصر كل التأثيرات للحرب الراهنة أو تحديد تداعياتها المتوقعة على مسار النظام الدولي الراهن وتوجهاته. ولأن النتائج الفعلية لمثل هذه التبعات والآثار لن تظهر بسرعة، والأرجح أن تأخذ وقتاً طويلاً قبل أن تكتمل وتنضج وتستقر، فسوف يكون من الصعب أن نحدّد كل تداعيات وتأثيرات الحرب، لكن هذا لا يمنعنا من رصد العديد من التداعيات على المستوى الدولي وعلى المستوى الإقليمي وعلى مستوى دول شبه الجزيرة العربية ودول الخليج وعلى المستوى المحلي على الساحة اليمنية ومسار الحرب على اليمن الذي دخلت في شهر مارس الحالي عامها الثامن، وسعي كل أطراف الحرب سواء دول التحالف أو الأطراف اليمنية إلى تسجيل نقاط للتقرب

من الروس على حساب مجريات الحرب مع أوكرانيا ومن خلفها حلف الناتو والتحالف الغربي الأمريكي.

أولى التداعيات للحرب يمكننا أن نرصدها على الساحة الدولية، فمن الواضح أن النظام الدولي الذي تأسّس بعد الحرب العالمية الثانية على وشك الوصول إلى خط النهاية، وأن الأزمة الأوكرانية الراهنة سوف تسهم بقوة في الإجهاز على ما تبقّى من منظومة الأمن الجماعي التي قنّنها ميثاق الأمم المتحدة. بعبارة أخرى، يمكن القول: إن الأزمة الأوكرانية الراهنة سوف تطرح بقوة، وربما بسرعة، مدى الحاجة إلى منظومة جديدة، سوف تتطلب حتماً، إما عملية إصلاح جوهري للهياكل التنظيمية الحالية للأمم المتحدة، أو تأسيس «أمم متحدة جديدة» تكون أكثر قدرة على التعبير عن مجمل التحولات التي شهدها النظام الدولي منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن[23].

القانون هو مظلة الضعفاء، أما القوة فهي أداة الأقوياء، لذا، لن يكون بمقدور المجتمع الدولي أن ينعم بالأمن والاستقرار ما لم يقرر الأقوياء في المجتمع الدولي إقامة نظام عالمي يضمن الأمن والاستقرار للجميع، الأقوياء منهم والضعفاء، أو بعبارة أخرى، إقامة نظام للأمن الجماعي يكون قابلاً للتطبيق، وهو ما لا يمكن أن يتم من دون إصلاح جذري للأمم المتحدة. وتلك هي «الفريضة» الغائبة الآن في المرحلة الراهنة من مراحل تطور النظام الدولي[24].

أما الكاتب الأمريكي «فريد زكريا» فيري في حرب روسيا وأوكرانيا بأنها حدث زلزالي، وربما تكون أهم حدث في الحياة الدولية منذ سقوط جدار برلين، وتشير إلى نهاية عصر، وبداية حقبة ما بعد أمريكا. ويضيف في مقال له بصحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية، أن الحقبة الجديدة تتميز بانتصار السياسة على الاقتصاد، موضحًا أن من السمات المميزة للعصر الجديد أنه عصر ما بعد حقبة الهيمنة الأمريكية على العالم التي امتدت 3 عقود.

وفقا للكاتب الذي أضاف أنه بالإمكان العثور على أدلة على ذلك في كل مكان، مشيرا إلى ما قيل عن رفض قادة الإمارات والسعودية -المعتمدتين على واشنطن في أمنهما لعقود- تلقي مكالمات هاتفية من الرئيس الأمريكي الأسبوع الماضي، وكذلك رفض إسرائيل والهند -في البداية- وصف تصرفات الرئيس

الروسي «فلاديمير بوتين» بأنها غزو، وأن الدول الأربع قد أوضحت أنها ستستمر في التعامل مع روسيا[25].

وليس بعيدا عن هذا ما نشره موقع «The American Spectator» في 12 مارس، مقالا ناقش فيه اعتراف أمريكا بنهاية حقبة هيمنتها أحادية القطب.. حيث قال: «يجب على الولايات المتحدة أن تقبل بنهاية العالم أحادي القطب، وأن تنتهج سياسة رصينة، انتهى عصر الهيمنة أحادية القطب، لذا فإنها بحاجة لسياسة خارجية رصينة وموجهة نحو المصلحة الوطنية»[26].

أما على المستويات الأقل من المستوى العالمي، فهناك من يقول إن استطاعت روسيا تحقيق انتصار سريع ونظيف، الأمر الذي أصبح محل تساؤل، فليس ثمة شك في أن بوتين سيذهب إلى ما هو أبعد من أوكرانيا، في سعيه لإقامة حزام آمن، تابع أو حيادي، في جوار روسيا الأوروبي والقوقازي والآسيوي. وسيجعل نجاحُ روسيا حلفاءَها شرق الأوسطيين، سيما في إيران وسوريا، أكثر جرأة، سواء في تحركات الأولى الإقليمية، أو سعي الثانية إلى بسط نفوذها على المزيد من الأرض السورية، وربما سيدفع نجاح بوتين في أوكرانيا إلى تشجيع الصين على اتخاذ خطوات أوسع نحو استعادة تايوان[27].

أما في حال لم يستطع بوتين تحقيق أهداف الحرب سريعا، وانتقل الوضع إلى دخوله في حرب طويلة، وتعززت صورة احتلال دموي روسي في أوكرانيا، فإن فرصة أن يكون لهذه الأزمة دور في التقدم نحو نظام دولي جديد لا تكون فيه الولايات المتحدة متفردة في قيادة العالم تتراجع، وقد تكون النتيجة عكسية في هذا الصدد. كما أن دخول روسيا في حرب استنزاف طويلة ستسهم في إخراجها من ساحة التأثير الدولي، بما يسمح للولايات المتحدة والغرب بالتركيز على الصين، خصمهم الاستراتيجي الرئيسي؛ إذ إن استنزاف روسيا سياسيا وعسكريا ودعائيا سيعني بالضرورة تجاوز الغرب للمعضلة الروسية، وسيكون الطريق ممهدا لتعزيز الاستراتيجية الأمريكية لمواجهة الصين وإحكام التحالفات حولها، خاصة في المحيطين الهادي والهندي وبحر جنوب الصين.

النتائج الاستراتيجيّة للحرب الروسية- الأوكرانية:

كثيرة هي التداعيات والنتائج للحرب الروسية - الأوكرانية في بعدها الاستراتيجي، ولعل أهم تلك التداعيات هي ما تحدث عنها الخبير الاستراتيجي اللبناني «ناصر قنديل» الذي قال:

1 - إظهار معادلة دولية جديدة قوامها، أن دول حلف الناتو المكونة أصلا من أمريكا وكندا و29 دولة أوروبية، بما فيها تركيا من أصل 48 دولة أوروبية، منها: (روسيا وروسيا البيضاء وعدد من الجزر الصغيرة والفاتيكان وسويسرا والنمسا) خارج الحلف، لن تخوض حرباً مع دولة عظمى كروسيا والصين على الأقل إذا تعرضت أية دولة أخرى خارج الحلف لأي عمل عسكري شبيه بالذي تعرّضت له أوكرانيا، والحاصل الاستراتيجيّ لهذه الخلاصة، سيكون حكماً فتح الطريق لإخضاع هذه الدول لمعادلة الاسترضاء للجار القويّ بقوة الردع الذي ينجم عن معادلة الغزو المحتم دون رادع، ولو امتدّت فترة ترقب هذه الدول لما بعد نهاية الحرب، فهي بدأت تقيم حساباتها وتبني استخلاصاتها قبل أن تنتهي الحرب.

2 - ثبات حجم التماسك في الحلف الروسي الصيني. والحرب هي أول تجربة جدية ومفصلية يجري خلالها إخضاع هذه العلاقة لامتحان بهذا الوضوح، بوضع الصين بين خياري: التعرض للعقوبات، أو المشاركة بالعقوبات المفروضة من الغرب على روسيا. وقد صار ثابتاً أن الدولتين تتصرّفان في مواجهة سطوة الغرب الدولية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً كحليفين استراتيجيين، يدركان أن أحدهما ركيزة لا غنى عنها لقوة الآخر، وأن استفراد أحدهما ليس إلا مقدمة لاستفراد الآخر، وبالتالي سقوط المعادلة التي صاغها «هنري كيسنجر» منذ أيام الحرب الباردة تحت عنوان: الاستثمار على التنافس الروسي الصيني وتحويله إلى تناقض تأسيسي في المشهد الاستراتيجي.

3 - أن المكانة المحورية لسوق الطاقة تتغلب على الحسابات السياسية للعداء ومقتضيات الحروب والنزاعات. فموقف أوروبا المتمسّك بالحفاظ على إمدادات النفط والغاز من روسيا، رغم إدراك أن أولى نتائجه تعطيل كل الرهان على فعاليّة العقوبات على روسيا، وأمريكا تفتح قنوات تسريع الاتفاق النووي مع إيران، ومثلها رفع الحصار عن فنزويلا أملاً بتسريع انضمامهما إلى سوق

النفط والغاز؛ سعياً لتفادي النتائج السلبيّة للعقوبات على روسيا في أسواق الطاقة.

4 - ظهور التفكك والارتباك على حلفاء واشنطن في الشرق الأوسط، الذي بدا بوضوح أنه خارج نطاق السيطرة الأمريكية، بعد عقود من ظهوره كولاية أمريكية منضبطة. فالضغوط التي مورست لضمان التصويت مع مشروع القرار الأمريكي لم تحجب حقيقة مشهد التمرّد على المشاركة بالعقوبات على روسيا. والأمر ليس هنا بالحديث عن إيران وسورية ودول كالعراق والجزائر، بل نتحدّث عن (تركيا والسعودية والإمارات ومصر)[28].

التأثيرات الاقتصادية للحرب

لم يمر أسبوع واحد على اشتعال فتيل الحرب الروسية - الأوكرانية، وخاصة منذ عبور الدبابات الروسية الحدود إلى داخل أوكرانيا، حتى ارتفعت أسعار النفط إلى أعلى مستوياتها مقتربة من 120 دولارًا للبرميل للمرة الأولى منذ 14 عامًا، كما هرع المستثمرون للاستنجاد بالذهب، ذلك الملاذ الاقتصادي الآمن. بدورها سارعت الدول الغربية إلى فرض عقوبات اقتصادية رادعة، قالت أنها تهدف إلى إجبار موسكو على التراجع، هذا فضلا عن الخسائر المتعاقبة التي شهدتها الأسواق الآسيوية والأمريكية والأوروبية وحتى العربية، وهو ما يشي بحقيقة واحدة مفادها: أن العالم لا يتحمل حربا بذلك الحجم اليوم، وأن استمرار التصعيد العسكري يرمي بالجميع في دوامة الأزمات الاقتصادية.

كانت سويعات قليلة بعد بدء الحرب أكثر من كافية؛ ليدرك الجميع ما تعنيه حرب جديدة في أوروبا، لكنّ الأخطر من دوي المدافع، وسيطرة الألوان الحمراء على مؤشرات البورصة العالمية، هو أن التحالفات السياسية ستكون على موعد وشيك مع تحولات استراتيجية كبرى، بسبب الموقف المرتقب لكل دول العالم، ومن ضمنها دول الشرق الأوسط من الأزمة الأوكرانية، وهو ما سينعكس دون شك على السياسة والاقتصاد عالميا لسنوات مقبلة[29].

ألحقت الحرب الروسية- الأوكرانية ضررًا بالغًا بالاقتصاد العالمي، وكبّدته

خسائر في خمسة محاور كبرى، وهي: (النفط، والطاقة، والحبوب، وسوق الأسهم، والسندات المالية). ومع وصول مسار الأحداث إلى طريق مسدود، لا تبدو العقوبات الاقتصادية الغربية قادرة على إخضاع روسيا من دون أن يتضرر معها الاقتصاد العالمي الذي يعاني أساسا من عدة أزمات تلاحقه، من خفض توقعات النمو، وارتفاع أسعار النفط، ومعها أسعار مجموعة واسعة من السلع الغذائية، ووصول معدلات التضخم إلى أعلى مستوياتها منذ العام 2008[30].

ووفقا لتقرير حديث للأمم المتحدة، تعد روسيا أكبر مُورّد للقمح في العالم، وتشكل مع أوكرانيا ما يقرب من ربع إجمالي الصادرات العالمية، ويوفر البَلَدان معًا أكثر من 70% من إجمالي واردات القمح لمصر وتركيا، وهو ما وضع الأخيرة في مأزق سياسي عقب مطالبة الحكومة الأوكرانية لها بإغلاق مضيقَي البوسفور والدردنيل أمام السفن الروسية.

تأتي معظم الدول العربية في مقدمة الدول التي تسد احتياجاتها بالقمح الروسي والأوكراني، بحيث تعتمد كل من مصر وتونس والإمارات على القمح الروسي، فتبلغ نسبة الاعتماد التونسي على القمح الروسي حوالي 60%، بينما في مصر تصل حوالي 80%. فيما يعتمد المغرب على البلدين معًا، بحيث تزوده روسيا بحوالي 10.5%، وأوكرانيا بحولي 19%، فيما تعتمد السودان على روسيا بحوالي 46%، واليمن بـ 31% من روسيا و 6.8% من أوكرانيا، في حين تستورد تونس حوالي نصف احتياجاتها من القمح من أوكرانيا. ويظهر من الأرقام والنسب السابقة لبعض الدول العربية، أن الدول العربية في مقدمة دول العالم التي تعتمد على القمح الروسي والأوكراني[31].

يوما بعد يوم إذن، تُثبت الحرب الروسية - الأوكرانية أنها لن تظل محصورة في نطاقها الجغرافي، وأنها سوف تلعب دورا في إعادة ترسيم خارطة التحالفات والعداوات في عالم مضطرب.

الحرب الروسية على أوكرانيا رغم بعدها جغرافيا عن المنطقة العربية، فإنها كشفت الأعطاب التي خلفها النظام السياسي العربي على مدى عقود، بفعل عدم تحقيقه استقلالا ذاتيا في الأمن الغذائي كما هو الحال مع باقي المجالات التي تعد الدول العربية رهينة خيارات لا تسهم في صياغتها، بل يمكن القول

-بالنظر لعدة أسباب تاريخية وسياسية واجتماعية- إنها في ظل الشروط الراهنة وطبيعة الأسس التي ترتكز عليها سياسات هذه الدول، وافتقادها للشرعية وللمشروع الوطني الديمقراطي ولسلطة القانون وآليات الحكامة في التدبير، ستبقى عاجزة عن تحقيق أبسط المتطلبات التي تحول بين شعوب منطقة غنية بثرواتها ومساحاتها الجغرافية الكبرى، وبين هزات اجتماعية قد تكون بسبب الرغيف والقمح وغلاء الأسعار، وإذا كان الوضع كذلك، فكيف بانخراطها الفعال بما يحمي مصالح دولها وشعوبها في سياقات دولية مشتبكة. لذلك فإنه بدون ديمقراطية ودولة الحق والقانون، سيظل العرب على هامش حركة التاريخ غير مؤثرين في صياغة ملامح تشكله، وسيكونون أول من تصيبهم ويلات الحروب والأزمات ولو كانت بعيدة عنهم جغرافيا، وآخر من يتحقق لهم الوعي بأهمية الاستقلال والتقدم بأبعاده المختلفة[32].

انكشاف القيم الغربية:

منذ الأيام الأولى للحرب الروسية - الأوكرانية رفعت دول الغرب الرأسمالية العديد من القيم الإنسانية لمواجهة عدوهم الورسي، فعند المقارنة بين الحرب الروسية التي يقف الغرب ضدها، وبين الحرب التي تقودها السعودية على اليمن تحت مسمى «عاصفة الحزم» والتي تؤيدها بل وتدعمها كل الدول الغربية، يمكننا هنا التعرف على ما كتبه بيتر أوبورن، في موقع (ميدل ايست أي) إذ يقول نجد أنه تم تطبيق معيارين من قبل الغرب: الاندفاع لمساعدة أوكرانيا ضد الغازي الأجنبي، لكن لا توجد بعثات رحمة إلى اليمن أو غزة أو سوريا أو ميانمار رغم تشابه المواقف والأحداث. المفارقة ليست أكثر سوداوية من تصريح لريتشارد أوبنهايم، السفير البريطاني في اليمن الذي قال: «المملكة المتحدة تقف إلى جانب شعب أوكرانيا في مواجهة هجوم روسيا غير المبرر على الحرية والديمقراطية».

بالطبع، السفير البريطاني محق في إدانة الغزو الروسي غير القانوني والهمجي لأوكرانيا المجاورة، لكن لا يمكن أن ننسى أن بريطانيا هي جزء أساسي من آلة

القتل البربرية وغير القانونية للسعودية في اليمن المجاور، ليس الدبلوماسيون فقط هم من طبقوا هذه المعايير المزدوجة، فمنذ أن اتخذ «فلاديمير بوتين» خطوته قبل أسبوع تقريباً، كان المعلقون الإعلاميون يوضحون صراحة أن الأوروبيين البيض في أوكرانيا مهمون بينما لا يهم الآخرون. ومن هنا أوضح مراسل الخدمة الإخبارية الأمريكية «سي بي إس»: هذا ليس العراق أو سوريا، هذه دولة حضارية وأوروبية[33].

ذات النفاق نجده في الموقف الأمريكي في الأيام الأولى للحرب، حيث سافرت سامانثا باور، مديرة الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، إلى الحدود البولندية في مهمة لمساعدة اللاجئين الأوكرانيين. ومن الملاحظ أنه عندما كانت «باور» سفيرة لأمريكا لدى الأمم المتحدة في بداية الحرب على اليمن لم نجد لها أي موقف إنساني، وبدلاً من ذلك، تبنّت سياسة الصمت- وحمت التحالف الأمريكي السعودي من التدقيق الدولي الجاد، حيث ألقى القنابل على المنازل والمدارس والمستشفيات والجنازات. أظهر الغرب بأجمعه رحمة كبيرة تجاه أوكرانيا وتجاه المدنيين، لكن وعلى مدى كل السنوات الماضية لم نجد له أي مهام رحمة تجاه اليمن أو غزة أو سوريا أو ميانمار.

في 13 مارس انتقد نائب وزير خارجية صنعاء، حسين العزي، تباكي بريطانيا على الإنسانية في أوكرانيا من خلال اتهامها روسيا باستخدام قنابل عنقودية، في حين أن غالبية القنابل العنقودية التي استخدمتها السعودية في اليمن بريطانية الصنع. وقال العزي في تدوينة على «تويتر»: «لفت نظري اتهام مندوب بريطانيا بمجلس الأمن لروسيا باستعمال القنابل العنقودية وينسى أن 70% من القنابل العنقودية التي استعملت ضد اليمن هي قنابل بريطانية».

وأضاف مستنكراً: «متى يدرك هؤلاء المتخلفون أن الإنسانية لا تتجزأ، وأن كل مآسي البشرية ليست ناجمة عن أزمة قوانين أو عقول، لكنها دائما ناجمة عن أزمة ضمير»[34].

انكشـــاف الإعـــلام الغربي:

منـذ اليـوم الأول للحـرب الروسـية - الأوكرانيـة انخـرط كل الإعـلام الغـربي في خنـدق الدفـاع عـن أوكرانيـا وتوجيـه كل التهـم لروسـيا، في انحيـاز واضـح لا يقبـل أي رأي آخـر أو تصـور ثـاني، رافـق ذلـك الاصطفـاف للإعـلام الغـربي حملـة إعلاميـة غربيـة هسـتيرية ضـد روسـيا، وبهـذا برهـن الإعـلام الغـربي للمـرة الألـف، وبمـا لا يقبـل الشـك، أن الإعـلام الغـربي هـو إحـدى أدوات شـن الحـروب الغربيـة ضـد الشـعوب الآمنـة، وأن المخابـرات الغربيـة تتحكـم فيـه إلى آخـر عنـوان وآخـر مقـال، فهـو أداة فعالـة وشرسـة مـن أدوات الحـرب الغربيـة ضـد الشـعوب، كـما أنـه يسـتهدف التحكـم في آراء وتقييـمات البـشر وغسـل أدمغتهـم بالأخبـار والمعلومـات الملفقـة وتبرير تغطيـة جرائـم الحـرب والإرهـاب التـي ترتكبهـا حكوماتهـم وجيوشـهم ومخابراتهـم. ولذلـك، لم يعـد الإعـلام الغـربي المسـيّر يتمتـع بالمصداقيـة، فهـو بعيـد كل البعـد عـن الدقـة التـي يتوخاهـا الجميـع منـه[35].

ولتوضيـح أكـثر عـن الموضـوع يمكننـا الاسـتدلال بمـا كتبتـه الصحفيـة بموقـع الجزيـرة الإنجليزيـة «زاهـرة حـرب» الأكاديميـة في جامعـة سـيتي بلنـدن، إذ قالـت: إنـه كان لافتـا لنظرهـا مشـاهدة الصحفيـين البريطانيـين والأميركيـين وهـم يغطـون هـذا الـصراع الوحـشي ليـس بتلـك الموضوعيـة العميـاء التـي كانـت مصـدر اعتـزاز وفخـر بالصحافـة الغربيـة في العـصر الحديـث، وإنمـا باسـتخدام مصطلحـات تعـبر بدقـة عـن الجوانـب الإنسـانية والواقـع المريـر للأوضـاع عـلى الأرض».

وأشـارت إلى أنـه في الأيـام الأولى مـن الحـرب عـلى أوكرانيـا، غصـت شاشـات التلفـزة والصحـف بقصـص تـبرز شـجاعة وصمـود الأوكرانيـين العاديـين في وجـه غـزو شـامل، وشـيئا فشـيئا بـدأ مصطلـح «المقاومـة» يسـتخدم بصـورة منتظمـة في وصـف القـوات الأوكرانيـة والمتطوعـين الذيـن حملـوا السـلاح دفاعـا عـن وطنهـم. وتضيـف: «مـع أننـي أؤيـد تمامـا اسـتخدام مثـل تلـك اللغـة والمصطلحـات الدقيقـة في تغطيـة الغـزو الـروسي، فإننـي مـا زلـت مصدومـة ومحبطـة؛ ذلـك لأننـي عندمـا كنـت أغطـي «الاعتـداءات» الإسرائيليـة عـلى لبنـان في تسـعينيات القـرن المـاضي للإعـلام الغـربي، لم يكـن يُسـمح لي قـط بوصـف مـا يحـدث في البلـد بهـذه الدقـة».

وقالـت: «عندمـا كنـت أقـوم بإعـداد تقاريـر لشـبكة «بي بي سي عـربي» إبـان الاحتـلال الإسرائيـلي لجنـوب لبنـان عـلى سـبيل المثـال، أبلغـوني ألا أشـير إلى الجيـش

الإسرائيلي أبدًا على أنه «القوة المحتلة» من أجل التزام الحياد، وطُلب مني ألا أتحدث إطلاقا عن «مقاومة» في جنوب لبنان الذي كان حينها تحت الاحتلال، وأن أصف أي عمل من ذلك القبيل في الأراضي المحتلة على أنها «عمليات عسكرية ضد قوات إسرائيلية»، لكي أظل مرة أخرى ملتزمًا بالحياد ووفيا للسياسات التحريرية المقدسة للبي بي سي».

وتتابع قائلة: إن «أي صحفي غربي شارك في تغطية الحرب الأوكرانية واستخدم مصطلحات مثل «المقاومة» و«الغزو» و«العدوان» عليه أن يتوقف ويفكر في السبب الذي جعلنا نحن معشر الصحفيين اللبنانيين لا نقبل استخدام نفس تلك المصطلحات عندما كنا نغطي الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين في وطننا في أعوام 1993 و1996 و2006م[36].

قائمة المراجـــــع:

1 - موقع عربي بوست، قصة أزمة أوكرانيا باختصار.. أهم الأسئلة التي تشغل بالك وما تريده روسيا والغرب، https://arabicpost.net/

2 - موقع عربي بوست، قصة أزمة أوكرانيا باختصار.. أهم الأسئلة التي تشغل بالك وما تريده روسيا والغرب https://arabicpost.net/

3 - وليد القططي، روسيا والغرب.. صراع بين شبيهين أو نقيضين؟ المصدر: الميادين 24 آذار، https://www.almayadeen.net/

4 - رأي ورد كاسوحة ، أبعد من الأزمة الجيوسياسية: أفُق الصراع بين روسيا والغرب، الأربعاء 23 شباط 2022

5 - حسن نافعة، جدل القوة والقانون في مرآة الأزمة الأوكرانية، الميادين نت،3مارس،2022، https://www.almayadeen.net/

6 - حسن نافعة، مرجع سابق.

7 - حسن نافعة، مرجع سابق.

8 - حمزة الخنساء ، تصنيف «أنصار الله» جماعة «إرهابيّة»: تناغم روسيّ - إماراتيّ لا يحصّن أبو ظبي، الخميس 3 آذار 2022 الأخبار اللبنانية،
/https://www.al-akhbar.com

9 - حمزة الخنساء، مرجع سابق.

10 - ألكسندر نازاروف ، العلماء الحوثيون اليمنيون على وشك تحقيق اختراق في تكنولوجيا الصواريخ، 4 مارس،2022م، آر تي عربي، https://arabic.rt.com/

11 - وكالة الأنباء السعودية واس، https://www.spa.gov.sa/home.php?lang=ar

12 - عباس الجمري، السّعودية بين الغضب والإحباط.. لسنا على قدر المسؤوليّة!، الميادين نت26 آذار، https://www.almayadeen.net/

13 - اليمن تدخل خط المواجهة في الحرب الروسية الأوكرانية وتضع حلف الناتو في كارثة حقيقة. (تفاصيل) موقع اليمن برس،12 مارس
/https://www.yemenipress.net

14 - عبد الباري عطوان، هل دخلت حركة "أنصار الله" الحوثيّة على خطّ الأزمة الأوكرانيّة، https://www.raialyoum.com

15 - كريتر سكاي، 27 مارس https://cratersky.net/posts/99013

16 - المصدر : الجزيرة + وكالات، 2 مارس.

17 - الصنداي تليغراف: الولايات المتحدة "محبطة بشدة" لاستقبال الرئيس السوري في الإمارات، نقلا عن موقع رأي اليوم، https://www.raialyoum.com/

18 - شبكة CNN، تقرير أمريكي يكشف "كواليس" التحركات الأمريكية لتهدئة التوتر مع السعودية والإمارات، نقلا عن موقع السياسية 12 مارس
/http://www.alsyasiah.ye

19 - عباس الجمري، هل يستغلّ الخليجيون أزمة أوكرانيا للاستفادة من واشنطن؟ الميادين نت، https://www.almayadeen.net/

20 - عباس الجمري، هل يستغلّ الخليجيون أزمة أوكرانيا للاستفادة من واشنطن؟ مرجع سابق.

21 - المصدر: رويترز، نقلا عن الجزيرة نت.

22 - ضحى حمادي، المتغطي بأمريكا عريان.. زيلينسكي نموذج آخر، 10 مارس، موقع الخنادق، https://alkhanadeq.com/index.php

23 - حسن نافعة، هل انهارت منظومة الأمن الجماعي الدولية؟ 10 مارس، الميادين نت، https://www.almayadeen.net/

24 - حسن نافعة، مرجع سابق.

25 - فريد زكريا: حرب أوكرانيا بداية عالم ما بعد أميركا، الجزيرة نت،10 مارس، https://www.aljazeera.net/

26 - ذا أمريكان سبكتاتير: اعترفت الولايات المتحدة بنهاية حقبة "هيمنتها أحادية القطب" صحيفة رأي اليوم، https://www.raialyoum.com/

27 - نهاية حقبة ما بعد الحرب الباردة.. كيف تعيد حرب أوكرانيا تشكيل النظام العالمي؟ الجزيرة نت، https://www.aljazeera.net/

28 - ناصر قنديل، ما هي النتائج الاستراتيجيّة لحرب أوكرانيا، 24 مارس، صحيفة البناء اللبنانية، https://www.al-binaa.com/

29 - مدافع الاقتصاد المدمرة.. كيف يتأثر العالم بالغزو الروسي لأوكرانيا؟ الجزيرة نت، https://www.aljazeera.net/

30 - مدافع الاقتصاد المدمرة.. كيف يتأثر العالم بالغزو الروسي لأوكرانيا الجزيرة نت.

31 - يحى عالم، حرب روسيا على أوكرانيا وانعكاساتها على العالم العربي (2)، الجزير نت، https://www.aljazeera.net/

32 - يحى عالم، حرب روسيا على أوكرانيا وانعكاساتها على العالم العربي (2) مرجع سابق.

33 - بيتر أوبورن ، موقع "ميدل ايست أي- Middle East Eye " البريطاني، نقلا عن موقع صعدة برس، https://www.saadahpress.net/

34 - https://twitter.com/hussinalezzi5

35 - بثينة شعبان، ماذا بعد؟ المصدر: الميادين نت، https://www.almayadeen.net/

36 - زاهرة حرب، الحرب على أوكرانيا.. هل الحياد مفتاح للصحافة الجيدة دائما؟ الجزيرة نت، https://www.aljazeera.net/

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري

https://majalforums.com
info@majalforums.com
ahmed@majalforums.com
00967775775774